منظومة الحوار في الفكر الإسلامي

د. صفوان تاج الدين علي

كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم علوم القرآن والتربية الاسلامية

تاريخ الاستلام تاريخ القبول

٢٠١٢/٩/١١ ٢٠١٢/١١/٧

الملخص

ويطمح هذا البحث الى بيان ثقافة الحوار التي تميز بها ديننا الإسلامي وبيان أهمية في القران الكريم والسنة النبوية الشريفة وأهمية في عملية التعارف والتدافع الحضاري، وبيان أهدافه والغرض منه وتوضيح دوائره وأنواعه، وبيان انعكاساته على الساحة الفكرية في المجتمع الإسلامي .

ويناقش البحث قيمة الحوار في الفكر الإسلامي باعتبارها قيمة حضارية مهمة من قيم الدين الإسلامي التي اعتمدها اغلب العلماء والفلاسفة الكبار، الذين أعدوه وسيلة من وسائل النهوض بالمجتمع والاندماج بالأمم الأخرى ومناقشتهم حسب السياق القرآني الذي رسمه لهم، وعلى هذه الأسس الإسلامية نهض الحوار على السلم، والإحسان، والمعروف، والعدالة والمساواة، والإقناع بالبرهان العقلي

وأخيرا يحاول البحث تأصيل ثقافة الحوار كبديل لمفهوم الصراع وإحياء هذه القيم الحوارية وتفعيل دورها في عالمنا بدل ثقافة الاستبداد الفكري وإلغاء الآخر و لغة النفي والإقصاء والتكفير التي تمارسها بعض الأطراف في عالمنا اليوم او استخدام مبدأ القطب الواحد الذي أنتجته العولمة كفكر سياسي ويعد كل من لا يسير على هذا النموذج معاديا ومخالفا للطريق الذي انتجت العولمة .

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل الكتاب هدى للناس ليخرجهم من الظلمات الى النور والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آل بيته وأصحابه أجمعين وبعد:

تأتي أهمية الحوار من منطلق انه يشكل ظاهرة ايجابية في حياة الأمم والشعوب، ويعد الحوار وسيلة لتقارب الشعوب ووسيلة التواصل وتقليص مسافة الخلاف بين الأطراف، ويعد الحوار من مظاهر الرقي الإنساني، وهو الأسلوب الأمثل لاحتواء الخلاف وظاهرة طبيعية، لانه يخلق أجواء صحية للتواصل، ويتيح للآراء المختلفة بل المتضاربة ان تناقش في العلن، كما انه يسهم في توسيع آفاق العقول وتعميق مداركها بما يمدها من وجهات نظر مختلفة وآراء متباينة متعددة، والذي يغلق باب الحوار ويتقوقع داخل ذاته يقطع الأوردة التي تمده بالمعرفة وتفتح له نوافذ العالم، ويحرم نفسه من ثمرات العقل الإنساني، فيضيق عقله ويتسع نطاق هواه .

وقد شغل الحوار حيزاً كبيراً في ثقافتنا الإسلامية، فقد جعل الوحي من الحوار قيمة أخلاقية مقدسة توجه الطاقات الأخلاقية والنفسية في حوار داخلي مع الذات للتفكر في ملكوت السموات والأرض، وفي الوقت نفسه جعل الوحي من الحوار طريقة للفكر والثقافة والسلوك، وعلم الناس كيف يصلون الى الفكرة الصحيحة والحق القائم على الحجة والبرهان، وبهذا السلاح الفكري الفعال عرفوا كيف ينفتحون على ثقافات العالم المتعددة وحضاراته المختلفة، فانطلقوا في ذلك الجو المفعم بتراث الامم الديني والثقافي والعقلي مرتكزين على الحوار الذي يحترم الانسان ويصون كرامته .

وعلى هذا الأساس تعاملت الثقافة الإسلامية مع باقي الثقافات المختلفة والأديان الأخرى والمذاهب الوضعية والتيارات الفكرية التي سادت العالم الإسلامي .

اما البحث فقد اشتمل على المقدمة وستة مباحث وخاتمة إما المبحث الأول فقد دار حول مفهوم الحوار لغة واصطلاحا، والمبحث الثاني فقد بين منظومة الحوار في الفكر الإسلامي، اما المبحث الثالث فقد عالج أهداف الحوار وآدابه وأنواعه وصورة، ودار المبحث الرابع حول الحوار وحقيقة التعارف وأبعاد هذا التعارف، اما المبحث الخامس فقد بين قيمة الحوار في الفكر الإسلامي، وأخيرا كان المبحث السادس حول كيفية جعل الحوار كبديل لمفهوم الصراع . ومن ثم الخاتمة وقائمة المصادر.

المبحث الاول : مفهوم الحوار لغة واصطلاحا:-

الحوار لغة: الحوار- Dialogue

الحوار هو في الاصل حَورَ :(الحَورُ الرجوع الى الشيء، حار الى الشيء وعنه حوراً ومحارّه وحووراً: رجع الشيء عنه واليه .. وحار يحور حوراً وحووراً رجع. وفي الحديث (من دعا رجلاً بالكفر وليس كذلك حار عليه)[١] اي رجع اليه ما نسب إليه، والتحاور التجاوب)[٢].

وحور الشيء رجعه وبيضه، وحاوره محاورة وحورا جاوره وراجعه في الكلام. واحارت الناقة صارت ذات حُوار وكلمته فما احار إلي جواباً اي ماردة ويقال سألته فما أحار سؤالي اي فما أجابهُ، وتحاوروا تجاوبوا وتراجعوا الكلام بينهم [٣] والمحاورة المجاوبة والتحاور التجاوب ومنه حار حوراً-اي رجع، ويقال حار اليه -حاوره- محاوره وحواراً -جاوبه-جادله- والحوار مراجعة الكلام بين طرفين تخاطبا. والمحاورة. مراجعة الكلام في المخاطبة تقول حاورته في المنطق واحرت له جواباً وما احار بكلمة [٤].

الحوار اصطلاحا:-

فهو عملية اتصال بين طرفين او اكثر، وهي تعتمد المخاطبة او المساءلة حول شأن من الشؤون باعتباره نافذة من النوافذ الاساسية لصناعة المشتركات التي لا تنهض حياة اجتماعية سوية بدونها [٥].

وقيل بأن الحوار هو فن أدبي كان في الجاهلية مناظرات ومفاخرات ومساجلات وهو ضرب من الادب الرفيع وأسلوب من أساليبه [٦].

وبهذا يكون الحوار تجل لمستوى رفيع من مستويات الرقي الحضاري والانساني الذي ينشر روح التآلف والتفاهم والانسجام بين الافراد والجماعات لان الحوار يكون مفتاحاً للعقل بجميع نظراته وآرائه على فكر الغير وعقله، لهذا أُعد الحوار ظاهرة حضارية واجتماعية وانسانية تختص بالإنسان وتميزه عما عداه من باقي المخلوقات، وبالحوار يتكامل التفكير ويكتسب القدرة على ادراك علومِ الاخرين وإثراء معارفه.

ومن خلال الحوار تتم الاجابة عن كثير من علامات الاستفهام والاشكالات العالقة في الذهن، ويمكن من خلاله كشف الباطل ومؤثرات بطلانه، ودلائله وبالتالي تتضح بها الافكار والقرارات في الجانب الاخر، ويتحرك العقل بالتجاه الصحيح.

اما الاسلام فأنه يعد الحوار ذات قيمة حضارية، لانه اسلوب الانبياء فقد انتشر الاسلام في اغلب العالم عن طريق الحوار فأوصل التعارف، والأصل عرف العرفانُ- عَرَفه يعرفه عرفةً وعرفاناً وعِرفاناً ومعرفةً واعترَفَة- ورجل عَرُوفٌ وعرُوفة عارِف يَعْرِفِ الأمور - والعارف مثل عليم وعالم، وقيل تعرفت ما عند فلان، ويقال تعارف القوم اي عرف بعضهم

بعضاً [٧]، وفي الحديث ﴿الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ﴾[٨].

المبحث الثاني : منظومة الإسلام الفكرية .

واذا أردنا ان نفهم حقيقة الحوار ونضعه في موقعه الصحيح من منظومة القيم الدين الاسلامي، ينبغي لنا أولا أن نتعرف إلى حقيقة الإسلام، وخصائصه ؛ إذ يتصف الإسلام في بعدة خصائص عامة فيتصف بأنه دين وسطية، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٩]، وشهود، قال تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[١٠]، ودين دعوة وبلاغ، قال تعالى:﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[١١]، ودين آخرة ودنيا، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[١٢]، ودين حجة وبرهان، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[١٣] ودين قوامة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾[١٤]، ودين قدوة، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾[١٥]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[١٦]، وفطرة، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١٧]،، ودين رحمة وتخفيف وأخلاق، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[١٨]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[١٩]، ودين عقل وعلم، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢٠]، وقوله تعالى: ﴿تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٢١]، ودين أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[٢٢]... وهو في خصائصه العامة [٢٣]، يتصف بالربانية، والعالمية، والواقعية، والشمولية، والتوازن، والتيسيرة، والمصلحية الإنسانية، والجذرية، والمرونة والثبات، والإيجابية، والفعالية[٢٤]... ويتصف الإسلام- كذلك- [٢٥]، بكونه دينا خاتما، ومهيمنا، ومحفوظا، ومعجزا ومطلقا، وغائيا (مقصديا) وبيانيا وعلميا عقلانيا، واستخلافيا.

المحلل لهذه الميزات للإسلام سيدرك بوضوح توجهه العام، والصبغة الأساسية التي تطبع رؤيته الكونية، وهي أنه دين منفتح على الآخر، مهيأ بحكم طبيعته وأهدافه الكبرى لكي يكون عامل وصل وتفاعل بين مختلف الروافد الحضارية الكبرى.

وهذا هوالدور الفعلي الذي قام به الإسلام في دورته الحضارية الإسلامية الأولى، حين تفاعل مع حضارات العالم وثقافاته القديمة، أسس لرؤية حضارية كبرى في الحوار والتدافع والتعارف كما سيشار إليه في الفقرات اللاحقة للبحث. فإذا كانت هذه الميزات مما يؤهل الإسلام لإداء دور حضاري، فإن أهدافه الكبرى تعزز هذا التوجه وتؤكده. وتتمحور هذه الأهداف حول قضايا كبرى أهمها: التعريف بالله سبحانه وتعالى ومنهج توحيده في الربوبية والألوهية والصفات، والتعريف بالإنسان والكون والحياة وصيرورتها ومصيرها في عالمي الدنيا والأخرى، والإجابة عن حقائق عالمي الغيب والشهادة وبيان صلتها بالاستخلاف، وبيان حقيقة الاستخلاف ومسؤولية الخلق فيه، وبيان العقيدة والشريعة والأخلاق الصحيحة، وتزويد البشر بمنهج معرفة سنن الله في الأفاق والأنفس، وتزويد البشر بالمعرفة اللازمة عن تاريخ الأديان والأمم السابقة وقصص الأنبياء، وبيان موازين العدل والقسط في الأفعال والأعمال، وتقديم نموذج الحضارة والعمران البشري المتكامل، وتزويد البشر بمنهج الحق في التوحيد والعبودية والسيادة والقوامة والشهود، وبيان منهج الإسلام في الدعوة والبلاغ والإرشاد والإصلاح [٢٦].

المبحث الثالث : أهداف الحوار وآدابه وأنواعه وصوره .

يعطي الحديث عن الحوار في عمقه الإسلامي بعدا إنسانيا يضعه في شكله الطبيعي، ولا يسمح له بالتحول الى طاقة تدميرية، بل ان الحوار يخفض من مستوى سلبيات الاختلاف ويرفع من مستوى ايجابياته : ليكون الاختلاف في هذا الاطار مفيداً ودافعاً اللاصلاح والمراجعة المستمرة . وهذا البعد يمنح الحوار مضمونا مصيريا وموقعا مهما في استمرار الحياة بطابعها المستقر، ويمنح العقل قدرة على التفكير والاختيار .

ومن هذا المنطلق فإننا اخترنا الحوار للبحث بوصفها أفضل وسائل التواصل مع الآخرين، وهي ليست مسالة تبعية في الإسلام، وإنما هي أساسية لكونه دينا للناس أجمعين، ولا يمكن أن نتصور دينا عالميا، بتوجهاته و خطابه، وأهدافه كالإسلام و يرفض الحوار مع الآخرين ؛ إذ يبحث الإسلام عن المتحاورين ؛ ليبين لهم فكرَهٌ عقيدةً، وتشريعاً، وقيماً، ورؤية وأخلاقا.

والمتدبر للنصوص القرآن والأحاديث النبوية،والمتابع للسيرة النبوية، وسيرة الخلفاء الراشدين، وسيرة العلماء في مختلف العصور يظهر واضحا أن الحوار سلعة مربحة في حياة الأمة، [٢٧]. والحوار الحضاري أداة للكشف عن الحقائق والأشياء الخفية، ومن خلاله يجاب عن كثير من علامات الاستفهام والإشكالات العالقة في الذهن، او يزاد من القناعات الذاتية واجمالاً فان الحوار ينضج الأفكار والقرارات ؛ ففي الجانب الفكري والثقافي – مثلا ينمي الحوار الأفكار ويعمقها، ويشذ بها مما يعلق بها من انحراف او جمود او شوائب، ويحرك العقل باتجاه الإبداع والتجديد والتحرر، في الحدود التي تفرضها مرجعية الاختلاف . وفي

الجانب السياسي والاجتماعي، يترك الحوار الأثر نفسه (في تنضيج القرار الاجتماعي والسياسي وإشعار الآخرين بالمسؤولية وبأهمية الموقع الذي يحتلونه، بل ان بعض انماطه تعد في دائرة المسلمين لونا من ألوان الشورى)[٢٨].

ومن ثم فأن الحوار في الاسلام يعبر عن قيمة حضارية؛ لأنه أسلوب الأنبياء في التبليغ والدعوة فقد انتشر الاسلام وللوعظ والمحاجة والقول الحكيم، الذي أوصله الى أقاصي الدنيا، ولا سيما افريقيا وشرق آسيا وأمريكا، هو الحوار . هذه البلدان التي يقطنها اليوم مئات الملايين من الناس، دخلت الاسلام بالحوار، فالإسلام هو دين الحجة ودحض الباطل بأسلوب الحكمة « ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [٢٩].

وعند الحديث عن الحوار، فأن قيمته تكمن في هدفيته، والمتمثلة في اكتشاف الحقيقة و معرفتها و بلورة شكلها ومضمونها، على اعتبار ان «الحكمة ضالة المؤمن» هذا الهدف يعطي للتجرد والنزاهة والموضوعية في الحوار معنى حقيقيا، بالصورة التي يطرحها القرآن الكريم: » وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [٣٠].

اما الحوار الذي لا يحمل هدفا معينا و لا يترك اثرا علميا او فكريا، فهو عديم القيمة والفائدة وتنطبق هذه القاعدة أيضا على الحوارات التي تدور حول امور افتراضية وخيالية ولا علاقة لها بالواقع وعلى هذا فلا بد من تحديد أهداف الحوار وهي :-

١- إقامة الحجة : الغاية من الحوار إقامة الحجة ودفع الشبهة والفاسد من القول والرأي والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق .

٢- الدعوة : الحوار الهادئ مفتاح للقلوب وطريق إلى النفوس .قال تعالى﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [٣١].

٣- تقريب وجهات النظر : من ثمرات الحوار : تضييق هوة الخلاف، وتقريب وجهات.

٤- النظر، وإيجاد حل وسط يرضي الأطراف في زمن كثر فيه التباغض والتناحر [٣٢].

٥-كشف الشبهات والرد على الأباطيل، لإظهار الحق وإزهاق الباطل، كما قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [٣٣].

وبعد تحديد أهم أهداف الحوار لابد أيضا من تحديد آدابه النفسية والعلمية واللفظية التي ينبغي ان يكون عليها أسلوب الحوار، كاللين والمرونة وضبط النفس والتوازن في

المشاعر وغيرها، فضلاً عن الانفتاح السلوكي المدروس على الطرف الآخر، واحترام مشاعره ومعتقداته، ومحاورته بالحكمة والموعظة الحسنة وبالتي هي أحسن، فهذه الأساليب كافية لتترك في نفسه انطباعا جيدا عن شخصية المحاور وطبيعة أهدافه ومعتقداته أما الأساليب السلبية، كالتحريض واثارة الفوضى والشغب، والتحامل والتشنج والتعصب الأعمى والتكبر، واعتماد أسلوب المغالطة، والانكماش والتهرب، والاستهزاء والسخرية، فهي مرفوضة في الحوار الحضاري المنشود، وقد نهى الإسلام عن ذلك: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٣٤]، فضلا عن أن هذه الأساليب تؤدي الى وضع عكسي، ونجد أنها تسببت في بروز ردود فعل عنيفة بوجه الحوار الإسلامي، بالصورة التي حدثت حيال أساليب الكنيسة في التعامل مع الآخرين في عصور أوربا الوسطى، ثم أدت الى ظهور ألوان فاقعة من الإلحاد والانحراف والعلمانية والسقوط والتطرف [٣٥].

والإسلام يأمر الا يواصل الحوار في تجاوز الطرف الآخر حدود الحوار وآدابه كممارسة الاضطهاد والتهديد والافتراء والتهريج: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ [٣٦] حينما يدخل الحوار مرحلة العبث وتضييع الوقت، من هنا جاءت الآداب النفسية والعلمية واللفظية لصياغة الحوار الحضاري بأجمل صورة

ويمكن إيجاز أهم هذه الآداب في الشكل التالي:

الشكل (١) تقسيم آداب الحوار

بعد تحديد اهم أهداف الحوار واهم آدابه فان الحوار يدور في دوائر كثيرة متداخلة.

ومن أهم أنواعه التي يمكن الحديث عنها:

الأول: حوار المسلم مع ذاته والكون والأفق .

ثانيا: حوار المسلم مع الآخرين داخل نطاقه.

ثالثا: حوار المسلم مع الآخر فردا وجماعة داخل نطاقهم .

رابعا: مسلم مع الآخر في إطار حضور الكثيرين[٣٧] ..

النوع الاولى : يتحاور هنا المسلم مع نفسه وهذا الكون الفسيح الذي يحيط به لكي يدرك دقائق الأمور، وهنا يدخل الحوار مجال التفكير والتفكر في الأنفس والآفاق قال تعالى:﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[٢] اي في كل ما يحيط بالإنسان أو يدركه في الأرض أو في الفضاء من مخلوقات عديدة تستدعي التفكر والتأمل في حكمة خلقها. فالأرض وما فيها من كائنات والفضاء وما فيه من أجرام وكواكب و نجوم دالة على صنع الله الذي أتقن كل شيء، وكل تفكر له فوائد كثيرة،منها ما يرسخ الإيمان ويقرب إلى الله تعالى، ومنها ما ينفع الإنسان في حياته وفي تطور علومه ومعارفه. ويزيد التواضع أمام عظمة الله والتأكد من أن الإنسان مخلوق مكرم .

إنّ التفكير بسائر ملكاته ووظائفه

حوار، هو أول ما ينطلق من الذات بوصفها موضوعا مفكرا فيه يثري الحوار والتفكير، وتمثل الذات الإنسانية عالما داخليا ذاتيا غاية في التعقيد والعمق والاتساع، عالم هو مادة خصبة للتفكير والتأمل والحوار مع الأنا الذاتي الداخلي،الذي يخص العالم الخارجي ويشتغل فيه التفكير والحوار باستمرار. قال تعالى ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣٨] وقال تعالى﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۞ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۞ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۞ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[٣٩] ، وقوله تعالى :﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۞ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٤٠] في هذا المجال الفسيح يبدو سياق القرآني وكأنه حملة ضخمة للتوجيه والتأثير واستجاشة العقل والضمير . حملة هادئة الإيقاع، ولكنها متعددة الجوانب . ليست في جلجلة الرعد، ولكنها في هدوئها تخاطب كل حاسة وكل جارحة في الكيان البشري، وتتجه إلى العقل الواعي كما تتجه إلى الوجدان الحساس . إنها تخاطب العين لترى، والأذن لتسمع، واللمس ليستشعر، والوجدان ليتأثر، والعقل ليتدبر .

هذه الصور تتناول التوجيه إلى آيات الله في الكون، فهي الآيات الكونية تتجلى فيها عظمة الخلق، وعظمة النعمة، وعظمة العلم والتدبير .ومن ثم يتحاور المسلم مع أهله وأقربائه وعشيرته وقبيلته وقومه الذين هم على نفس ملته ضمن محورين :-

المحور الاول: ليذكرهم بنعم الله عليهم وان المستحق للعبادة هو الله ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٤١] .

المحور الثاني: فيتحاور المسلم مع أمته بمفهومها الواسع، الحوار الإسلامي – الإسلامي الذي يشتمل على الثقافات والمجتمعات والدول والأجناس واللغات والمذاهب والفكر الإسلامي المتنوع. فهو هنا يتحاور ضمن السياق الحضاري الفكري و الثقافي الذي منحه له الإسلام ضمن الضوابط الصادقة والمبادئ الراقية للحوار الإسلامي، لإرساء قواعد احترام الأخر ضمن فضاء واسع الأفق[٤٢]، مع التنكر لثقافة الصراع التي مارستها بعض الجماعات الإسلامية ذات الطابع السياسي التي أنقادة لأهوائها ومصالحها وأطماعها فمارسة الاستبداد الفكري بكل مظاهره واشكالة حتى وصل بهم الحد الى تصفية مخالفيهم،فحجرت على الناس حرية التفكير والتعبير، فهذه النماذج السلبية وان كانت جزاء من تاريخنا الا أنها لا تمثل بأي حال من الأحوال المرجعية التي يصدر عنها الإسلام الحقيقي .

النوع الثانية :يتحاور المسلم مع الآخرين؛ أي في حضور الأديان والملل والأجناس الأخرى المغايرة له في الرؤية والعقيدة قال تعالى :﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٤٣]. ولكنه يكون داخل نطاق سلطان المجتمع الإسلامي .

النوع الثالثة : يتحاور المسلم مع الأخرين، لكن في إطار دولتهم وثقافتهم وبيئتهم وثقافتهم وقيمهم قال تعالى :﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٤٤] فالمسلم يتحاور مع الأخرين في ظل سيادة قيمهم وثقافتهم وانساقهم، لكن يحاول أن الحفاظ على هويته وثقافته مخافة ذوبانها، وتحللها بفعل ضغط الثقافات والأنساق لهم فقال تعالى ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٤٥] .

النوع الرابعة : ينتقل المسلم بقيمه الحوارية إلى المستوى العالمي، الشامل مع الثقافات [٤٦]، والحضارات المختلفة . وفي مثل هذا الوضع يكون الحوار حضاريا وعالميا؛ إذ يتأكد فيه حضور الأخرين . ويتجسد هذا المعنى في المجال الحواري العالمي الحيوي، الذي أنتجته العولمة [٤٧]، وجعلت معظم المجتمعات الإنسانية والثقافات المختلفة تتفاعل في لحظة العولمة هذه. وأما المجال الأعلى في الحوار فهو مجال الحوار هنا بحول الى الحوار الكوني والافاقي الذي يتحاور فيه المسلم والآخرون مع المحيط الكوني والافاقي الخارجي؛ فيعرفهم إلى الله ومخلوقاته ومعجزاته في الكون والحياة قال تعالى : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۞ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا

لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۞ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۞ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۞ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٤٨].

وعلى هذا الأساس فان الحديث عن الحوار مع الآخر في اطار حضاري، يتطلب من المسلم إدراكا لمختلف دوائر الحوار: فهما، وسننا، ومناهج، ووسائل، وممارسة. فلكي ينجح المسلم في تحقيق حوار مثمر وفاعل وبناء مع الآخر، سواء أكان فردا أم جماعة أم مجتمعا أم ثقافة أم حضارة، عليه ابتداء أن يتحقق من مسالة الحوار في شخصيته وثقافته ومجتمعه وأفعاله هو؛ الفردية والجماعية. واذا أصبح الحوار ثقافة وجزءا من التربية العامة للمسلم، وتحول إلى نمط في حياته، وقيمة حضارية في وجوده وسلوكه وتفاعلاته، كان اكثر تأهلا لتحقيق الحوار المبدع والمتفاعل مع الأخرين، من اجل تحقيق أهدافه الحضارية والاستخلافية، بوصفه مكلفا بواجب الاستخلاف والإعمار والإنقاذ والشهود[٤٩]. والمسلم يكون فاعلا في الحوار الحضاري العالمي، كلما كان ممتلكا زمام الحوار مع الذات ومع الآخر، سواء في مجتمعاته هو أم في مجتمعات الأخرين، وسواء أكان أقلية أم أكثرية.

بعد أن اتضحت لنا انواع الحوار؛ من الذات القريبة إلى الكون الافاقي الفسيح، ينبغي الإشارة إلى أن موضوعات الحوار – كذلك تتنوع، وتتداخل، وتتشابك، بدءا من الموضوعات والقضايا السهلة إلى اعقد القضايا التي تمس جوهر الحياة والوجود الإنساني. فالحوار قد يدور حول القضايا الوجودية الكلية مثل: موضوعات الخالق والمخلوق [٥٠]، والشهادة والغيب، والدينا والآخرة، والاعتقاد والإيمان....، وقد يكون في قضايا الحضارة والعمران والاجتماع، وقضايا الفن والجمال، وقضايا النظر والعمل... والحوار كذلك ينضبط بأهداف وقد بيناها وغايات، فهناك حوار من اجل توضيح شيء غامض ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٥١] وحوار و دفع حجة الخصم، أو لبيان الحق ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٥٢] أو لشرح تعاليم الدين، أو لتعليم شيء ما، أو للزيادة في المعرفة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ

تُنجيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٥٣] أو لإيجاد الحلول للمشكلات والنزاعات بمختلف تنوعاتها تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٥٤]، أو للتربية الاجتماعية ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[٥٥] أو تعاليم سياسية ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٥٦] ، أو حوار للدعوة ﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۞ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ. ﴾[٥٧] فموضوعات الحوار منبسطة ومتعددة ومتجددة، وأهدافه كذلك متنوعة بحسب الأوضاع، ولرغبات، والإرادات. ولدينا نماذج رائعة لحوارات الأنبياء مع أقوامهم في مختلف القضايا، وحوار النبي عليه الصلاة والسلام مع الوفود من المسلمين وغير المسلمين، (وحوارات المسلمين في مختلف مراحل تطور الحضارة الإسلامية؛ اذ نجد نماذج راقية للحوار في مختلف المجالات وبين فئات المجتمع المسلم والمجتمع غير المسلم المتنوعة) [٥٨].

وعامة قد يأخذ الحوار صوراً كثيرة ومتنوعة ومن صور الحوار هذه :

حوار الله تعالى مع الملائكة ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٥٩] .

حوار الله تعالى مع الشيطان ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ۞ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۞ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۞ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ۞ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾[٦٠] .

حوار الله مع الأنبياء ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٦١] .

حوار الآباء مع الأبناء ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۞ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۞ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ (٦٢).

حوار الأبناء مع الإباء ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۞ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۞ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۞ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۞ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۞ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۞ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ (٦٣).

حوار النساء مع الرجال ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى **اسْتِحْيَاءٍ** قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ (٦٤).

حوار الأنبياء مع الملائكة ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴾ (٦٥).

حوار الاولياء مع الملائكة ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۞ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۞ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ (٦٦).

حوارالأنبياء مع زعماء الكفر ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ (٦٧).

حوار الأنبياء مع أقوامهم ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦٨).

حوار الذاكر والجاحد لنعمة الله ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾ (٦٩). وصور الحوار كثيرة في القران الكريم كالجدال والحجاج والرد والتساؤل، وخدمات تقدم للآخرين من اجل التواصل أو التداول معهم في قضايا معينة.

المبحث الثالث :الحوار وحقيقة التعارف وأبعاده

ان الضابط الذي ينطلق منه الحوار هو ضابط " التعارف الحضاري"، بكل ما يحمل من قيم وأخلاقيات، وضوابط. وهو الضابط الذي يضع الحوار في سياقها الصحيح، ويحدد له أهدفه المناسبة، ويضع له الشروط الصحيحة، ويبين منظومة الأخلاق والقيم التي ينبغي أن تحكمه ليكون مثمرا، ومحققا لمقاصد الناس ومصالحهم المشروعة.

وضابط التعارف الحضاري الذي يحدد أفق الحوار وامتداداته، وغاياته، ومعانيه، وقيمه، يتأسس أصالة على تكريم الآخرين واحترامهم، والمساواة والتفاعل معهم، وعلى الإقناع، والحجة، والدليل، والبيان، والتربية، والتعليم، والتبليغ، والدعوة، والإصلاح الإرشاد لهذا فأن(مفهوم التعارف في الإسلام ذو سعة يمكن أن يشمل كل المعاني التي تدل على التعاون والتعايش، ويمكن أيضا أن يستوعب التعارف قيم الحوار والجدل بالتي هي أحسن والاحترام المتبادل) [٧٠]. ليس ثمة ابلغ وأوفى بالقصد من الآية الكريمة ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[٧١] وهذا الضابط التعارفي الحضاري الإنساني مؤسس ايضاً على معيار رباني عادل، لا فرق فيه بين عربي وأعجمي، وبين متحضر ومتخلف [٧٢]، وبين قوي وضعيف إلا بالتقوى. يؤسس التعارف الحضاري بوصفه مقصدا من مقاصد الوجود الحضاري للبشرية على " منظومة التقوى " ومفرداتها الأخلاقية، والتشريعية، والعملية، والتربوية، فإن هذا التعارف يتحول إلى اطار لنفي الخبث، ونشر الخير والإحسان والتسامح والتفاعل والتواصل، الذي من خلاله يتعارف الناس ويتفاعلون لتحقيق مصالحهم الدنيوية [٧٣] وآلاخروية، كما أمر الحق تبارك وتعالى. وحيث ينضبط الحوار باطار التعارف، فإنه ينزع نحو الحق والتدافع بدل الباطل والصراع. وفيما يأتي توضيح لحقيقة التعارف الحضاري بوصفه ضابطاً لتوجيه الحوار مع الذات ومع الآخر.

ويتأسس مفهوم التعارف، وفلسفته على الآية القرآنية الآتية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٧٤] يأيها الناس يا أيها المختلفون أجناساً وألواناً، المتفرقون شعوباً وقبائل . إنكم من أصل واحد . فلا تختلفوا ولا تتفرقوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا بدداً . (والذي يناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم، من ذكر وأنثى . . وهو يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوباً وقبائل . إنها ليست التناحر والخصام . إنما هي التعارف والوئام . فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطباع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات) [٧٥]. وبناء على هذا المبدأ الرباني العميق التعارف تتأكد لدينا قيم عديدة منها: " قيمة الإنسان وتكريمه، وقيمة التفاعل والتواصل

الإنساني وقيمة التقوى بوصفها مقياسا للتفاضل والتكريم، كما يؤكد ذلك النبي عليه الصلاة والسلام في قوله: (ﷺ) في خطبة الوداع، ﴿ يا أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، إلا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي ولا لاحمر على اسود، ولا لاسود على احمر إلا بالتقوى﴾[٧٦]. وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله . إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم، ويعرف به فضل الناس : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[٧٧] والكريم حقاً هو الكريم عند الله[٧٨]، ومن هذا المنطلق فإن "التعارف"، بوصفه مفهوما إسلاميا تأسيسا للعلاقة مع الذات ومع الآخر، يخص العالم كله، بشعوبه وقبائله، وأنه يدور حول قيمة – التكريم الرباني– للناس، ويحكم بقاعدة التقوى بوصفها معيارا وميزانا ربانيا يميز على وفقه العمل الصالح والعمل الفاسد.

ولما كان مفهوم التعارف الإسلامي مفهوما إنسانيا شاملا لكل البشرية دون استثناء، ولما كان اطار أخلاقيا يضبط علاقات الناس وتواصلاتهم وتفاعلاتهم وحواراتهم بجملة من القيم والأخلاقيات والمبادئ، فإن هذا التعارف يعد قيمة أساسية من قيم عالمية الإسلام وخصائصه العامة الأخرى [٧٩] .

فإذا كان الإسلام عالميا، وواقعيا، وميسرا، وعلميا، وإقناعيا، ومتوازنا، ومتكاملا، وإنسانيا..، فإن هذه العالمية لا يمكن أن تتجسد على حقيقتها، ولا يمكن أن تمارس حق ممارستها إلا في ظل اطار التعارف الإسلامي الذي يدعو إلى التكريم، والسلم، والعدالة، والمساواة، والتسامح، والحرية، والعقلانية، والتشارك، والتساكن، والتالف. ولهذا (فعالمية الإسلام تجعل الثقافة والحضارة الإسلاميتين منفتحتين على حضارات الأمم الأخرى، ومتجاوبتين مع ثقافات الشعوب، مؤثرتين ومتأثرتين) [٨٠]. ومحكومتين بمنظومة قيم التعارف المنضبطة والمحكومة بتوجيهات الشريعة الإسلامية ومبادئها الكبرى؛ لان الإسلام " يهدف أولا وقبل كل شيء إلى الوحدة الإنسانية العامة، والزمالة العالمية الشاملة، بأن يكون الناس جميعا إخوة متوادين متحابين متساوين متكافئين، حتى يستطيعوا أن يحققوا الرسالة العظمى التي خلقهم الله من أجلها [٨١].

من هذا التحليل المقتضب لمسالة التعارف بوصفه إطارا إسلاميا للتواصل والحوار والتفاعل بين الناس عموما، فإن التعارف في الفكر الإسلامي يمكن أن يدرس من جوانب متعددة، ويمكن أن ينظر إليه من زوايا نظر متكاملة ومتداخلة. فالتعارف يمكن أن ينظر إليه بوصفه رسالة وواجبا ينبغي أن يقوم به المسلم إزاء نفسه ومجتمعه وامته والأخرين الذين يعيشون معه في هذا العالم، من اجل التعريف بنفسه، ودينه، وحضارته، والتعرف إلى دين الأمم الأخرى وثقافتها وحضارتها، ومن اجل بيان الحق وبيان منهجه في التوحيد، والعبودية، والسيادة، والعمران، والإنقاذ، والدعوة، والإصلاح وغيرها. ويمكن النظر إليه بوصفه هدفا من

الأهداف السامية للخلق- للذكر والأنثى- وجعلهما شعوبا وقبائل؛ إذ على الإنسان أن يسعى لتحقيق هذا الهدف من اجل تنمية مداركه ومعارفه ووعيه على ذاته وعلى الأخرين، وعلى العالم.

ويمكن النظر إلى التعارف بوصفه وسيلة لاكتشاف آيات الله وسننه في الأفاق وفي الأنفس، وكذلك وسيلة أو أداة للابتلاء من اجل التكريم والترقي في المراتب عند الله سبحانه وتعالى. ويمكن النظر إلى التعارف- كذلك- بوصفه معيارا وميزانا لقياس علاقات الناس وصلاتهم وتفاعلاتهم ومدى تحقيقهم لمراد الله في وجودهم واستخلافهم الأرضي. ويمكن النظر إلى التعارف قيمة أخلاقية إنسانية عالية يتجسد من خلالها التوافق والانسجام والتساكن والتعايش بين الناس وتكريمهم، واحترامهم لقدرات وإمكاناتهم الأخرين ونستطيع النظر إلى التعارف بوصفه عملية تعلم وتربية وتغيير للذات، واستفادة من خبرات الأخرين وجهودهم وإنجازاتهم. ويمكننا النظر- كذلك- إلى التعارف بوصفه اطار للحوار والتواصل والتفاعل والتكامل والتعلم؛ أي بوصفه اطار يجمع كل العناصر الأخرى والجوانب المتداخلة والمتكاملة للتعارف[٨٢].

المبحث الرابع : قيمة الحوار في الفكر الإسلامي .

يدعو الاسلام للحوار البناء الذي تحكمة كل قيم التسامح وقبول الاخر و الا يستهزأ او ينتقص من الطرف الثاني بل يجب ان ينهض على التفاهم والاندماج والتعايش مع الأخر وفي أجواء الاختلاف يكون التعايش علي أساس التعددية التي يرتضيها الإسلام[٨٣]، هو الحل الكفيل بتجنب مشكلات الصراع والتضارب في الرؤيا والأفكار والمعتقدات بشتى الوانها . ولا يعني التعايش القبول بنسق واحد من التفكير والسلوك، وصهر الجميع في بوتقته، ولا يعني ايضاً التنازل عن الحق او توزيعه على المتعايشين بنسبة متساوية، وعلى المفهوم التعددية الذي يفهمه الغرب، بل يعني ان يحتفظ كل طرف بوضعه الخاص، ويمارس نشاطه الديني او المذهبي او الفكري او السياسي، في اطار الحقوق والحريات العامة التي يكفلها الإسلام بمضامينها المتوازنة والمرشدة، والتي لا تسمح لأي طرف بسلب حقوق الآخرين او الإخلال بأمن المجتمع، مهما بلغت قوة هذه الطرف عدة و عددا والصورة المثلى للتعايش هي صورة دولة المدينة التي كان اليهودي والنصراني يعيشان فيها بأمان الي جانب المسلم وفي كنف الدولة الإسلامية، وكان الحبشي والرومي والفارسي يتمتعون فيها بكل حقوق المواطنة كالعربي تماما، وهكذا تعايش المهاجرون الي جانب الانصار، وتعايش الآوس والخزرج معا، بل كان يعيش فيها اتباع التيارات الفكرية والسياسية التي تشكل لونا من المعارضة، وفي المقدمة تيار المنافقين والمشركين:

وعلى هذه الأسس الإسلامية نهض الحوار على السلم، والإحسان، والمعروف، والعدالة والمساواة، والإقناع والمحاججة بالبرهان، و بالعقل، والدليل. والقران الكريم مليء بالآيات التي تخص هذا الجانب قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٨٤]، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٨٥]، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[٨٦]، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۞ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[٨٧]، قال تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۞ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾[٨٨]، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[٨٩]، قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[٩٠]، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٩١]، تدور موضوعاتها ومعانيها حول الحوار التعارفي، الذي يهدف إلى التفاعل والتواصل مع الآخر في إطار الدعوة أو التفاهم، أو التعاون أو التشاور أو التشارك أو التعايش أو الإحسان، والدفع بالتي هي أحسن.

المبحث الخامس :الحوار بديل للصراع .

الاختلاف سنة كونية، أعطت للحياة ألوانا مختلفة من التفكير والسلوك، و جعلت التباين بين الناس في رؤاهم ونظرتهم للأشياء هو الأصل؛ لذا فان الاختلاف يعد قيمة من قيم الاجتماع الإنساني، وسنة ألاهية سنها الله فقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾[٩٢]، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[٩٣]، فالاختلاف بسبب طبيعة الوجود البشري، وطبيعة قوانين الخلق، والفطرة، والاستخلاف [٩٤]هو سنة من سنن الاجتماع البشري، وقيمة إنسانية مهمة فان غاياته كثيرة، منها: الابتلاء وإغناء التجربة الإنسانية بالآراء والتوجهات والأفكار في اطار ضوابطه، وأخلاقياته، وشروطه، ويكون مثمرا وبناءً ومفيدا لإغناء خبرات البشر، وتعزيز

معارفهم، ولكن الذي حدث في واقع الحياة، وفي سياق الفعل الإنساني، هو أنه تحول الاختلاف إلى خلاف ونزاع، فتطور إلى صراعات وحروب وقتل وتدمير، وحين يغيب منطق الحوار يصبح الصراع وآلاته القاتلة هي الحاكمة لحركية الحياة ومساراتها وهي صفة أصيلة من صفات النماذج الاستعمارية [٩٥]؛ وهذا ما نجده اليوم في واقع الحياة (وفي مسيرة المجتمع الإنساني بعد أن دخل لحظة العولمة، وعصر العالمية، أن منطق الصراع وآلياته التي تتحكم فيها القوى الكبرى- تقوم بتفكيك العالم، وإعادة تركيبه من جديد)[٩٦] على مبداء ان لم تكن معي فأنت ضدي،فنفت كل أخلاق التكريم والاحترام، وتجاهلت مبداء إشراك الجميع في تسير شؤون العالم، وهذا السياق العدائي يحتم على المسلم اليوم تجديد فعاليته من اجل الإسهام في إنقاذ الحضارة الإنسانية من هذه الفوضى، فالإنسانية اليوم بأمس الحاجة إلى فلسفة المسلمين التي تدعو الى التواصل والتفاعل والتعارف من منطلق الحوار كبديل للصراع.

وان هذا الصراع الذي نشهده اليوم ما هو الا امتداد لتلك الأمم والحضارات الاستعمارية التي كان اتجاهها نحو الصراع في فكرها وأنشطتها وأفعالها مع الآخر والأندلس الإسلامية تشهد بذلك.

اما الدين الإسلامي فقد اعد اختلاف الأجناس واللغات والأديان ظاهرة طبيعية في الكون تستدعي توظيف مبداء التعارف وسلوك سبيل الحوار لتستقيم الحياة ويتم التبادل الاجتماعي والثقافي والاقتصادي في إطاره السليم ؛ فتحول هذا الصراع الذي أرهق الشعوب الى أسلوب الحوار بديلاً لمنطق الصراع و التصادم والفتك.

إن الإسلام بضوابطه المتوازنة لا يريد أن يرسم للعالم صورة عالم لا فساد ولا اقتتال ولا نزاع فيه، ولا يدعو إلى فتح المجال أمام الفساد والاقتتال والصراع والتصادم القاتل. فالإسلام يقر بأسسه الإنسانية المختلفة التي تحمل الخير والشر معا، ويقر بضرورة الاختلاف بين الناس، وأن الابتلاء لا يتم على وجهه الحقيقي إلا في ظل التفاعلات الإنسانية[٩٧]، التي تعكس توجهات الناس من أكثرها خيرية وأخلاقية إلى أسوئها شرا وصراعا وفتكا، ويقر كذلك أن من البشر من سينزع إلى سفك الدماء والفساد والظلم، وكذلك من سيتوجه إلى الخير والصلاح والإحسان. وهذا الوضع هو الذي يؤدي إلى المواجهات والاستجابات السلبية والإيجابية للناس بحسب رؤاهم الكونية وتصوراتهم الدينية وتوجهاهم الحضارية.

وحتى يضع الإسلام طاقات الناس في موقعها الصحيح، ولا يضيع حقها في التواصل والتفاعل، ويخفف من الآثار القاتلة لمنطق الصراع والقتل وسفك الدماء، فإنه يدعو إلى فكرة التدافع الحضاري. ولهذا نجد الإسلام دائماً يحث على التسابق في اكتساب صفات الخير والصلاح مثل: الإيمان والتقوى ومحاسن الأخلاق[٩٨] ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٩٩] وقال تعالى وهو يحث على السباق الى الخير ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[١٠٠]لان اكتساب هذه الصفات والتسابق في ميادينها، هو المطلوب شرعا وعقلا وواقعا.

والإسلام يدعو إلى التدافع الحضاري بديلا عن منطق التصادم والصراع المهلك الذي لا يضبطه ضابط، ولا تحكمه قيم وغايات إلا الفصل عن المصالح والقوة والهيمنة، وتحقيق الهدف الذاتي مهما كانت النتائج[١٠١].

ومن اجل فهم أعمق لمفهوم التدافع الحضاري، الإسلامي ينبغي التأكيد على بعض النصوص القرآنية كقوله تعالى: قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[١٠٢] ولولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم، لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض ومنعهم من عبادة الله تعالى، وإظهار دينه [١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾[١٠٤] أي إذا أساء إليك أعداؤك، بالقول والفعل، فلا تقابلهم بالإساءة، مع أنه يجوز معاقبة المسيء بمثل إساءته، ولكن ادفع إساءتهم إليك بالإحسان منك إليهم، فإن ذلك فضل منك على المسيء، ومن مصالح ذلك، أنه تخف الإساءة عنك، في الحال، وفي المستقبل، وأنه أدعى لجلب المسيء إلى الحق، وأقرب إلى ندمه وأسفه، ورجوعه بالتوبة عما فعل، وليتصف العافي بصفة الإحسان، ويقهر بذلك عدوه الشيطان، وليستوجب الثواب من الرب [١٠٥]، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[١٠٦] فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق عليك، فإساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فَصِلْهُ، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلم فيك، غائبًا أو حاضرًا، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك، وترك خطابك، فَطَيِّبْ له الكلام، وابذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة[١٠٧].

وهذا لا يعني الرضوخ للباطل على حساب الحق ولا يعني المهادنة على حساب الدين بل هذا العفو و التسامح يأتي من منطلق القوى وليس من منطلق الضعف كما فعل الرسول الكريم (ﷺ) يوم فتح مكة مع المشركين فقال لهم (ﷺ)﴿ مَا تَرَوْنَ أَنِّى صَانِعٌ بِكُمْ؟. قَالُوا : خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ : اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ ﴾[١٠٨] اذا العفو عند المقدرة ؛ وهنا تأكيداً لقوله تعالى : ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[١٠٩].

فهذه النصوص القرآنية توضح الرؤية في الصلة مع الآخر، وهذه الرؤية مكملة ومتساوقة مع الفكرة الأولى التي تتحدث عن التعارف، فصلة المسلم مع الآخر محكومة من جهة بضابط التعارف وغايته وأخلاقياته وشرائطه، ومن جهة ثانية تخضع لسنة التدافع. وهذا يشير الى الأمور الآتية:

أولا: والمقصود هنا أن الدفع أو التدافع يقع في واقع البشر، وفيما بينهم، بعضهم على بعض بوصفهم أفرادا وجماعات من مختلف الأديان والأجناس والثقافات والحضارات والأمم ضرورة إرجاع الدفع وسننه إلى الحق تبارك وتعالى، فهو الأمر والناهي بحكمته وعدله وقدرته،ولمنع وقوع الفساد في الأرض .

ثانياً : اما المقصود في الجانب الثاني هو الدفع بالتي هي أحسن . وفي ضوء هذه الآيات يمكن الحديث عن رؤية إسلامية واضحة في التفاعل والتواصل مع الآخر، سواء في أوقات السلم أم في أوقات الحرب.لهذا كان الرسول (ﷺ) حتى في وقت الحروب يشير الى قيم عالية في ضبط الجهاد فيقول الرسول الكريم (ﷺ) : ﴿أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ﴾[١١٠] وقال (ﷺ) **:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[١١١] إن الفكر الاسلامي يوجه مفهوم الدفع توجيهاً منضبطاً و يؤسس لمنهج أخلاقي في منع وصول نزاعات الناس الى مراحل الفساد والهدم، الذي تضيع بموجبه مصالح الناس وتسفك الدماء، ويستشري الظلم والقتل في حياتهم.

فالتدافع في الفكر الإسلامي بديلا لمفهوم التصادم والصراع، يبين لنا أن العلاقات والصلات مع الآخر ينبغي أن تبنا على ضابطين : الضابط الأول :منع الفساد والهدم.

الضابط الثاني: إحسان، بالتي هي أحسن. وفي هذين الضابطين تكمن حقيقة نظرية التدافع في الفكر الإسلام، في حالتي السلم والحرب لان هذين الضابطين يجسدان الإسلام بما يحمله من فكر نحو مفهوم التدافع.

لهذا كان للمسلمين السبق في استخدام هذا المفهوم في حالات الحرب والنزاع، فكان لهم السبق في استخدام أخلاقيات الحرب، وحقوق الأسير، وحرمة دماء الأبرياء، وضرورة المحافظة على الأرض والعمران والشجر[١١٢] فكان الرسول (ﷺ) يوصي قادته وجنود المسلمين في حالات الحرب فيقول (ﷺ)﴿انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ لاَ تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًا وَلاَ طِفْلاً وَلاَ صَغِيرًا وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ تَغُلُّوا وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ وَأَصْلِحُوا وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[١١٣] وهذا ما أوصى به سيدنا ابو بكر(ﷺ) جيوش الفاتحين الى بلاد الشام فقال﴿ لاَ تَقْتُلُوا صَبِيا وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ شَيْخًا كَبِيرًا وَلاَ مَرِيضًا وَلاَ رَاهِبًا وَلاَ تَقْطَعُوا مُثْمِرًا وَلاَ تُخَرِّبُوا عَامِرًا وَلاَ تَذْبَحُوا بَعِيرًا وَلاَ بَقَرَةً إِلاَّ لِمَأْكَلٍ وَلاَ تُغْرِقُوا نَحْلاً وَلاَ تُحْرِقُوهُ. وَقَدْ رُوِىَ فِى ذَلِكَ عَنِ

النَّبِيِّ (ﷺ)﴾ [١١٤]. وبناء على نظرية التدافع الإسلامي، فإن كل حركة أو سكنه أو قرار أو موقف إزاء الآخر ينبغي أن يضبط بالشرع، ويحكم بأخلاقيات وضوابط تحافظ على حقوق الإنسان وكرامته، حتى في حالات الحرب .

وأخيرا فأن حقيقة نظرة الإسلام، ونقطة ارتكازه التي تقوم على الحق بدلا من القوة، وهدفه الفضيلة بدلا من المنفعة، والوطنية والمهنية بدلا من العنصرية، ودستوره في الحياة التعاون بدل الصراع، والهدي بدل الهوى ورفع الإنسانية إلى مراقي الكمالات. [١١٥].

اما ما نعيشه اليوم فقد وصفه لنا الإمام النورسي بطريقة بارعة طبيعة النسق الغربي الذي نعيشه اليوم في قوله: (إن أسس المدنية الحاضرة سلبية، وهي أسس خمسة، تدور عليها رحاها. فنقطة استنادها: القوة بدل الحق، وشان القوة الاعتداء والتجاوز والتعرض، ومن هذا تنشا الخيانة. هدفها وقصدها: منفعة خسيسة بدل الفضيلة، وشان المنفعة: التزاحم والتخاصم، ومن هذا تنشا الخيانة. دستورها في الحياة: الجدال والخصام بدل التعاون، وشان الخصام: التنازع والتدافع، ومن هذا تنشا السفالة. رابطتها الأساس بين الناس: العنصرية التي تنمو على حساب غيرها، وتتقوى بابتلاع الأخرين، وشان القومية السلبية والعنصرية: التصادم المريع، وهو المشاهد. ومن هذا ينشا الدمار والهلاك. وخامستها: هي أن خدمتها الجذابة، تشجيع الأهواء والنوازع، وتذليل العقبات أمامها، وإشباع الشهوات والرغبات، وشان الأهواء والنوازع دائما: مسخ الإنسان، وتغيير سيرته، فتتغير بدورها الإنسانية وتمسخ مسخا معنويا)[١١٦].

الخاتمة:

من خلال هذا التحليل لموضوع الحوار بين ان منهج الجدل والحوار الإسلامي قادر على احتواء جميع الصراعات والاختلافات، وفي اتجاه مختلفة وقيم التعارف الحضاري، يتبين لنا كيف أن الإسلام دين يدعو إلى الحوار ويشجعه، ويجعله موقفا أصيلا في دعوته ورؤيته للآخرين من أصحاب الأديان والملل الأخرى فلن يكون هنالك فكر ديني مستنير إلا في ظل الحوار، و يعد الحوار ايضاً وسيلة مهمة للتواصل بين المسلمين أنفسهم قبل غيرهم.

والحوار البناء والإيجابي مهم جدا في التربية الأسرية والاجتماعية المسلم. ويضيف الإسلام أبعادا مهمة جدا لقضية الحوار حين يرتبطه بعملية التعارف الحضاري، فيكون المسلم بذلك مسلح بالقيم والأخلاق والأهداف والمقاصد التي يوفرها اطار التعارف، والمنهج ألإحساني ألتكريمي الذي ينبني عليه،والتي تجعل حواره وتواصله وتفاعله مع الآخرين ضمن نطاق سنن الله .

ومن هنا يجب علينا ان نقوم

١- بتكثيف الأنشطة الرسمية والجماهيرية التي تسعى إلى نشر ثقافة الحوار وتعزيز قيم التعارف في وعي المسلم وشخصيته.

٢- تأسيس منتديات للتعارف بين المسلمين أنفسهم، وللتعارف مع الآخرين، عن طريق توفير المعلومات اللازمة لهم عن الإسلام والمسلمين.

٣- نشر ثقافة الحوار والتعارف الأخلاقي المنضبط، وعرض مقررات ومواد دراسية في المستويات الثانوية والجامعية العليا، تعنى بتأهيل الطلبة والباحثين علميا وفكريا، وتزودهم بالقدرات الحوارية المطلوبة في بناء ثقافة الحوار .

الهوامش

(١) المسند الصحيح المختصر ،صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ط، د.ت باب بيان حال إيمان من قال لأخيه يا كافر ٧٩/١، رقم٦١.

(٢) ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ط١ ، ٧٥٠/١.

(٣) بطرس البستاني، قطر المحيط، دار العمرية ، بيروت ،١٨٦٩،دط، ٤٧١/١.

(٤) احمد حسن الزيات محمد علي النجار، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية ،دط،، ٢٠٠٤ ١،/٢٠٤.

(٥) محمد عبد الله زرمان، ثقافة الحوار في المرجعية الاسلامية ،دار الكتاب الثقافي،ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص٩.

(٦) موجز تاريخ الأدب العربي، لجنة الأساتذة في قطر،دار المعارف ،قطر،دط،دت ٨٠/٢.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ٢٣٦/٩.

(٨) رواه مسلم، باب الأرواح جنود مجنده، ٨٨/١٣،رقم ٤٧٧٣.

(٩) سورة البقرة الآية: ١٤٣.

(١٠) سورة البقرة الآية: ١٤٣.

(١١) سورة النحل الآية: ١٢٥.

(١٢) سورة القصص الآية: ٧٧.

(١٣) سورة البقرة الآية :١١١.

(١٤) سورة النساء الآية: ١٣٥.

(١٥) سورة الأنعام الآية :٩٠.

(١٦) سورة الأحزاب الآية :٢١.

(١٧) سورة الروم الآية :٣٠.

(١٨) سورة الأنبياء الآية :١٠٧.

(١٩) سورة النساء الآية: ٢٨.

(٢٠) سورة البقرة الآية: ٢٨٢.

(٢١) سورة آل عمران الآية :١٦٤.

(٢٢) سورة آل عمران الآية :١١٠.

(٢٣) ينظر: سيد قطب. خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ألمانيا ، ط٢، ١٩٨٣ ، ص٦٥. وينظر: يوسف القرضاوي. الخصائص العامة للشريعة، القاهرة: مكتبة وهبه، مصر، ط٤، ١٩٨٩. ، ص٥ .وينظر: الطيب برغوث، التغير الإسلامي: خصائصه وضوابطه، الجزائر، دار الشهاب، ط١، ، ص٤٧-٦٧. وينظر: عبد العزيز برغوثي ، مناهج الدعوة في المجتمع المتعدد الأديان والأجناس، كوالالمبور مركز البحوث، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا ،ط١، ٢٠٠٥م. ، ص٣٣.

(٢٤) ينظر: عبد العزيز برغوثي، مفهوم التعارف والتدافع، مجلة اسلامية المعرفة ،العدد ٣٦،سنة ٢٠١٢، ص ٧٨ .

(٢٥) ينظر:عبد العزيز برغوث. الرؤية الكونية الإسلامية والتجديد: دراسة منظور حضاري، كوالالمبور: مركز البحوث، الجامعة الإسلامية العالمية، ٢٠٠٦م ص٤٥. وينظر،: حاجي حمد، أبو القاسم. العالمية الإسلامية الثانية، جدلية الغيب والإنسان والطبيعة، دار ابن حزم ،بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.، ١٢٣/١ .

(٢٦) ينظر:عبد العزيز برغوث. مناهج الدعوة في المجتمع المتعدد الأديان والأجناس، ص٤٤

(٢٧) ينظر: خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي. الجدل الديني بين المسلمين واهل الكتاب بالأندلس، دار ، قباء ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠١م ،ص٣٤.

(٢٨)محمد على التسخيري ، قيم الحوار و التعايش في الرؤية الثقافية الاسلامية ، دار الحياة، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٨ .،ص٥.

(٢٩) سورة النحل الآية : ١٢٥.

(٣٠) سورة سبأ الآية :٢٤ .

(٣١) سورة النحل الآية :١٢٥.

(٣٢) ينظر: عمر بن عبدالله الكامل ، اداب الحوار وقواعد الاختلاف ،وقائع المؤتمر العالمي حول موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،،٢٠٠٧ ، ص ٦.

(٣٣) سورة الأنعام الآية: ٥٥ .

(٣٤) سورة العنكبوت الآية: ٤٦،

(٣٥) ينظر: محمد طه، الإسلام والعلم الحديث، دار المعارف، بيروت، ط١، ٩٧٢، ص٤٤.

(٣٦) سورة النساء الآية: ٦٣،

(٣٧) ينظر، عبد العزيز برغوثي، مفهوم التعارف والتدافع وموقعهما في الحوار من المنظور الإسلامي ، ص ٨١ . و ينظر: محمد السيد الجليند، الأصولية والحوار مع الآخر ، دار قباء ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٩م.، ص٤٢.

(٣٨) سورة الذاريات الآية :٢١ .

(٣٩) سورة الغاشية الآية: ١٧-١٩ .

(٤٠) سورة النحل الآية: ١١ .

(٤١) سورة الأعراف الآية :٥٩ .

(٤٢) سورة ال عمران الآية :٦٤ .

(٤٣) ينظر، محمد عبد الله زرمان، ثقافة الحوار، ص٧٤.

(٤٤) سورة العنكبوت الآية:٤٦ .

(٤٥) سورة ال عمران الآية:٦٩ .

(٤٦) ينظر، جيرار ليكرك، العولمة الثقافية، ترجمة، جورج كتورة،دار الكتاب ، بيروت ،ط٢، ٢٠٠٥ ، ص٣١-٤٥.

(٤٧) هذا التحليل لا يعني نفي وجود التفاعل والحوار والتواصل بين الحضارة الإسلامية والحضارات القديمة الهندية والصينية والمسيحية وغيرها، وإنما يركز على أهمية بعض العوامل مثل: التسارع والكثافة والتأثير والحساسية التواصيلة، التي اصبحنا نلاحظها في ظل سيادة آليات العولمة، والتقنية والتكنولوجيا الحديثة، التي حولت العالم إلى قرية تفاعلية حساسة للغاية.

(٤٨) سورة النحل الآية:٤-١٤ .

(٤٩) ينظر: عبد العزيز برغوثي، مفهوم التعارف والتدافع، ص ٨٣ .

(٥٠) ينظر: محمد سيد طنطاوي،أدب الحوار في الإسلام، القاهرة، مكتبة النهضة ،مصر،ط١، ١٩٩٧م ، ص٨٣ .

(٥١) سورة البقرة الآية :٣٠ .

(٥٢) سورة البقرة الآية:٢٣ .

(٥٣) سورة الصف الآية :١٠ .

(٥٤) سورة النساء الآية: ٥٩ .

(٥٥) سورة لقمان الآية :١٧ .

(٥٦) سورة النساء الآية :٦٥ .

(٥٧) سورة غافر الآية :٤٢ .

(٥٨) مصطفى السباعي. حواريات في التقارب الإسلامي المسيحي (قواسم مشتركة وأهداف متحدة)، دمشق: دار الوراق ، لبنان، ط١ ،٢٠٠٥م.، ص٥ .

(٥٩) سورة البقرة الآية: ٣٠.

(٦٠) سورة ص الآية : ٧٩.

(٦١) سورة الأعراف الآية: ١٤٣.

(٦٢) سورة لقمان الآية :١٤-١٩.

(٦٣) سورة مريم الآية :٤٤- ٤٨ .

(٦٤) سورة القصص الآية : ٢٥.

(٦٥) سورة الحجر الآية : ٥٧.

(٦٦) سورة مريم الآية : ١٩.

(٦٧) سورة البقرة الآية: ٢٥٨.

(٦٨) سورة المائدة الآية :٢٠.

(٦٩) سورة الكهف الآية: ٣٧.

(٧٠)عبد العزيز التويجري ، الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الواحد والعشرين، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، اليسكو، الرباط، ١٩٩٨م . ص١٧.

(٧١) سورة ال عمران الآية :٦٤ .

(٧٢) المقصود هنا أن اطار التعارف الإسلامي مؤسس على احترام الإنسان، وعد التقوى مقياسا للتفاضل. وأما فيما يتعلق بالفعل الحضاري، فإن الناس يتفاضلون بفعاليتهم الحضارية، فالفرق واسع بين المتحضر والمتخلف.

(٧٣) ينظر: هارالد وللر، تعايش الثقافات، مشروع مضاد لهيتغتون، ترجمة: إبراهيم أبو هشهش، بيروت: دار الكتاب الجديد،لبنان،ط١ ، ٢٠٠٥م ، ص٥٦ .

(٧٤) سورة الحجرات الآية: ١٣ .

(٧٥) سيد قطب، في ظلال القران، ٧ /٣.

(٧٦)البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر (ت ٤٥٨) ، سنن البيهقي الكبرى ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار ابن الباز ، مكة المكرمة ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، باب في حفظ اللسان،٤/٢٨٩رقم،٢٣٣٤.

،٤/٤٥٥ رقم،٢٣٤٨٩.

(٧٧) سورة الحجرات الآية: ١٣ .

(٧٨) ينظر:سيد قطب ، في ظلال القران ، دار القلم ، لبنان ،١٩٨٣، دط .، ٧ /٢-٣ .

(٧٩) ينظر: عطية الويشي، وقعنا بين العلمانية وتصادم الحضارات، سلسلة التنوير الإسلامي، مكتبة النهضة ،مصر،ط٤، ٢٠٠٣م ، ص٤٤ .

(٨٠) مصطفى الرفاعي، الإسلام دين المدنية القادمة، لبنان: الشركة العالمية للكتاب، دط ،١٩٩٠م.، ص١٤.

(٨١) ينظر، مصطفى الرفاعي، الإسلام دين المدنية القادمة، ص١٠٦.

(٨٢) ينظر، عبد العزيز التويجري. صراح الحضارات في المفهوم الإسلامي، ص١٢-٢٠ .

(٨٣) ينظر: حسان حتحوت، رسالة إلى العقل العربي المسلم، دار الحياة، القاهرة ،ط١ ، ١٩٩٨م.، ص١٥٣.

(٨٤) سورة النحل الآية :١٢٥ .

(٨٥) سورة فصلت الآية:٣٤ .

(٨٦) سورة آل عمران الآية:٦٤ .

(٨٧) سورة فصلت الآية:٣٣- ٣٥ .

(٨٨) سورة الأنفال الآية: ٥- ٦ .

(٨٩) سورة البقرة الآية :٨٣ .

(٩٠) سورة النساء الآية :١٤٨ .

(٩١) سورة الأعراف الآية :١٩٩ .

(٩٢) سورة الروم الآية:٢٢ .

(٩٣) سورة هود الآية :١١٨- ١١٩ .

(٩٤) ينظر: ناصر الدين الأسد، نحن والآخر: صراع وحوار ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،ط٢، ١٩٩٧م.، ص٧٠.

(٩٥) ينظر: ٣٠- هربرت شيلر، الاتصال والهيمنة الثقافية، ترجمة: وجيه سمعان، القاهرة، الهيئة المصرية،ط٢، ١٩٩٣م.، ص٢١ .

(٩٦) فهمي جدعان، متى تحين لحظة الحوار بحثا عن الإسلام الحضاري، ص١١٣-١١٤.

(٩٧) ينظر: فهمي جدعان، متى تحين لحظة الحوار- بحثا عن الإسلام الحضاري-، مجلة العربي، الكويت: وزارة الأعلام، العدد٥١٩، فبراير ٢٠٠٢م ، ص ٩٥ .

(٩٨) ينظر: محمد عمارة، احترام المقدسات، خيرية الأمة، عوامل تفوق الإسلام، سلسلة هذا هو الإسلام، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط١، ٢٠٠٥م. ، ص٤١.

(٩٩) سورة الحجرات الآية:١٣ .

(١٠٠) سورة البقرة الآية:١٤٨ .

(١٠١) ينظر: عبد العزيز برغوثي، مفهوم التعارف والتدافع، ص ٩٠ . و ينظر: الطيب برغوث، مدخل إلى سنن الصيرورة الاستخلافية: دراسة في سنن التغيير الاجتماعي، مركز التعارف الحضاري والتربية ،كوالالمبور، ط١،٢٠٠٢ م ، ص٣٩.

(١٠٢) سورة البقرة الآية :٢٥١ .

(١٠٣) ينظر:عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت : ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق :عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م .، ١٠٨/١ .

(١٠٤) سورة المؤمنون الآية:٩٦ .

(١٠٥) ينظر: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت : ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق :عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م .، ٥٥٨/١ .

(١٠٦) سورة فصلت الآية:٣٤ .

(١٠٧) ينظر، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٧٤٩/١ .

(١٠٨) رواه البيهقي، السنن الكبرى، باب فتح مكة، ١١٨/٩،رقم ١٨٠٥٥

(١٠٩) سورة فصلت الآية:٣٤ .

(١١٠) البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير ، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م. ، كتاب الجهاد، باب لاتمنوا لقاء العدو، ١٨٣/٣، رقم ٢٨٠٤.

(١١١)أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، مؤسسة الرسالة ،ط٢ ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩ . باب مسند عبدالله بن عمر، ٧/ ٨٩،رقم ٥٨٣٢.

(١١٢) ينظر، عبد العزيز برغوثي، مفهوم التعارف والتدافع، ص ١٠١.

(١١٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب ترك القتل من لا قتال فيه،٩٠/٩، رقم ١٨٦١٧

(١١٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب ترك القتل من لا قتال فيه،٩٠/٩، رقم ١٨٦١٦.

(١١٥) النورسي. كليات رسائل النور: المكتوبات ، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر ،إسطنبول للنشر، ط٢، ١٩٩٢م،ص٣٥٩

(١١٦) ينظر: النورسي. كليات رسائل النور: الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، إسطنبول: ، ط٢، ١٩٩٢م، ص٨٥٥.

Manzumat Alhiwar in Islamic thought

Dr. Safwan Tajeddeen Ali

College of Education for Human Sciences - Department of Quranic Sciences and Islamic Education

And aspires this search to a statement the culture of dialogue that characterized our Islamic and demonstrate the importance of the Holy Quran and Sunni and the importance in the process of dating and the stampede of civilization, and the statement of objectives and purpose and clarify its circuits and its divisions and types, and the statement of its impact on the arena of intellectual in the Muslim community .The paper discusses the value of dialogue in Islamic thought as cultural value task of Islamic values adopted by most scientists and philosophers adults, who they had prepared and a means of advancement of society and integration other nations and debate by context Quran drawn to them, and on this basis the Islamic got up dialogue on peace, charity , and known, and the Justice and Equality, and mental persuasion with evidence Finally tries to find rooting culture of dialogue as an alternative to the concept of conflict and neighborhoods these values talk and activate its role in our world instead of a culture of despotism and intellectual eliminate the others and language of exile and exclusion and penance practiced by some parties in the world today or use unipolar produced by globalization ideology and political is anyone who does not walk this model was hostile and contrary and backward and an impediment to the globalization of the world.